المحاضرة الثانية : المنهج التاريخي

مصادر ومراجع المحاضرة :

حسن عثمان، منهج البحث التاريخي
ماريو باي، أسس علم اللغة
فندريس، اللغة
رحيم يونس، مقدمة في منهج البحث العلمي ،
رمضان عبد التواب ، المدخل إلى علم اللغة ، ومناهج البحث اللغوي
علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث والدرس اللغوي الحديث
رياض قاسم، اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العرب

من الصعب أن نفصل تماما بين الوصفية والتاريخية، باعتبارهما منهجين في الدراسة اللغوية، من الناحية التطبيقية، فالمصطلحات الأساسية المستعملة في الوصفية قابلة للاستعمال في التاريخية، قال ماريو باي "بينما الوظيفة الأولى لعلم اللغة الوصفي هي أن يعرض التغيرات اللغوية، فمن الصعب كثيرا الفصل بين النوعين في مجال التطبيق العملي، وذلك لأن كل المصطلحات التي استعملت تحت العنوان الوصفي قابلة من الناحية العملية للاستعمال كذلك مع الفراغ التاريخي "

وينبغي ألا يلتبس الكلام على المنهج التاريخي بالكلام على أصل اللغة ونشأتها، فموضوع أصل اللغات وكيفية نشأتها قد استبعد عن مسائل علم اللغة العام، الذين درس سوا اللغات القديمة إنما تناولوا بالبحث لغات متطورة تركت خلفها مراحل متعددة، وقد رد فندريس على الذين خلطوا بين أصل اللغة وتاريخها، كما رد على بعض الأسس التي كان يعتمد عليها النحو المقارن في بداية نشأته وهي محاولة الكشف عن لهجات أو لغات قديمة بدائية بمقارنة لغات موجودة قال في رده: " يثير الإنسان دائما دهشة السامع كلما قال بأن مسألة أصل الكلام ليست من مسائل علم اللغة، ومع ذلك فليس هذا القول إلا حقيقة بعينها، فغالبية أولئك الذين كتبوا عن أصل الكلام منذ مئة عام يهيمون في تيه من الضلال، لأنهم لم ينتبهوا إلى هذه الحقيقة، وغلطتهم الأساسية

أنهم يواجهون هذه المسألة من الناحية اللغوية كما لو كان أصل الكلام يختلط بأصل اللغات، إن اللغويين يدرسون اللغات التي تتكلم والتي تكتب ويتتبعون تأريخها بمساعدة أقدم الوثائق التي كشف عنها؛ ولكنهم مهما أوغلوا في هذا التاريخ فإنهم لا يصون إلا إلى لغات قد تطورت وتركت خلفها تاريخا ضخما لا نعرف عنه شيئا، أما فكرة الوصول إلى إعادة بناء رطانة بدائية بمقارنة لغات موجودة بالفعل فسراب خداع، ولكن هذا السراب، الذي ربما كان مؤسسو علم النحو المقارن يتطلعون إليه قديما ، قد هجر منذ زمن طويل".

الحقيقة أن المنهج التاريخي في الدرس اللغوي، عبارة عن تتبع أية ظاهرة لغوية في لغةٍ ما، حتى أقدم عصورها، التي نملك منها وثائقَ ونصوصا لغوية؛ أي: إنه عبارة عن بحث التطور اللغويّ في لغة ما عبر القرون، فدراسة أصوات العربية الفصحى دراسة تاريخية، تبدأ من وصف القدماء لها من أمثال الخليل بن أحمد، وسيبويه، وتتبّع تاريخها منذ ذلك الزمان، حتى العصر الحاضر، دراسة تدخل ضمن نطاق المنهج التاريخيّ، ومثل ذلك يقال عن تتبُّع الأبنية الصرفية، ودلالة المفردات،ونظام الجملة" كما يعرف المنهج التاريخي بأنه البحث الذي يصل ويصف ويسجل الأحداث التي وقعت في الزمن الماضي، ويقوم بدراستها وتحليلها وفق مجموعة من الأسس المنهجية، وذلك من أجل فهم الواقع بناء على ضوء الماضي.

إذا، يدور المنهج التارخي في إطار "حصر التغيرات التي تصيب اللغة على مر العصور من خلال النظر في أصواتها وأبنيتها الصرفية و التركيبية والنحوية ،ونظام الجملة فيها، ودلالة ألفاظها مع محاولة تلمس الأسباب التي أدت إلى هذا التغيير، ويجب على الباحث الذي يتبع هذا المنهج في معالجة إحدى الظواهر اللغوية في العربية أن يتعامل مع أقدم المصادر التي وردت فيها تلك الظواهر، وعليه يبدأ بالنقوش المكتوبة ثم النصوص الشعرية والنثرية الخاصة بالشعر الجاهلي، ثم النصوص الخاصة بالعصر الإسلامي....، حتى يصل إلى آخر نص وردت فيه الظاهرة موضوع الدرس".

خطوات المنهج التاريخي

ضبط الموضوع و اختيار مشكلة البحث :

إن اختيار مشكلة البحث التاريخي يحتاج إلى التمعن ، تعتمد مشكلة البحوث التاريخية على البيانات والمعلومات، فإذا لم تكتمل البيانات والمعلومات عن المشكلة التي تم اختيارها فلا يمكن دراستها بشكل متكامل، ويحتاج الباحث لتحديد المشكلة إلى المراجع الخاصة والدوريات العلمية والنشرات وكافة المصادر اللازمة لاستيفاء تناول جميع أبعاد المشكلة وللحصول على نتائج دقيقة.

نقد البيانات والمعلومات المتعلقة بالمادة التاريخية :

يجب على الباحث العلمي اتباع مبدأ الشك في البيانات والمعلومات، وذلك لأن هناك العديد من المصادر التي تتناول هذه المعلومات والبيانات بشكل غير مباشر، وبالتالي فإن جمع المعلومات دون الرجوع إلى مصادرها الأصلية تفتح المجال أمام شك القارئ حول موضوعية البحث العلمي،حيث يشك بأصالة المحتوى وذلك بهدف التأكد والاطمئنان من صحة المعلومات والبيانات، وذلك من أجل الوصول إلى نتائج علمية دقيقة. وهنا يجدر الإشارة إلى ضرورة التمييز بين نوعين من النقد وهما:

- التحليل والنقد الخارجي(الظاهري): التأكد من صدق المعلومات وذلك بالتركيز أكثر على كل من شخصية المؤلف وأصالة الكتاب والفترة الزمانية والمكانية له، كذلك التأكد من صحة الأثر التاريخي كان في شكل آثار أو وثائق.
- التحليل والنقد الداخلي (الباطني): هو السعي إلى التأكد من مضمون أو محتوى الوثيقة، وذلك بالتأكيد من حقيقة المعاني أو المعلومات أو البيانات التي اشتملت عليها بشتى الطرق المختلفة، وكذا الوقوف على ما تضمنته من متناقضات و أخطاء، ويكون التحليل بقصد دراسة الظروف والملابسات والدوافع التي يمكن أن تكون قد أثّرت على كاتب الوثيقة لإيراد ما أورده من بيانات ومعلومات، وللتأكد أيضا أن هذه المعلومات ليست على سبيل الدعاية لقضية معينة أو دعوة لفكرة أو مبدأ يريد الكاتب أن يقنع الناس به.
-

جمع المادة التاريخية:

بعد أن يحدد الباحث مشكلته في البحث التاريخي، يقوم باستعراض كل ما يدل عليها من أحداث ليقوم عليها الدليل، ويعتبر الوصول إلى المصادر الأولية واحدا من الأهداف النهائية للباحث حتى عند اعتماده على مصادر ثانوية لبحثه، وهذا يتطلب مهارة في التمييز بين المصادر الأولية، والمصادر الثانوية وليس الأمر سهلا ، بل هو على جانب من الصعوبة، حيث يشير فان دلين إلى صعوبة الفصل أحيانا بين المصادر الأولية والثانوية، خاصة في حالة تضمن المصدر الواحد معلومات أولية وثانوية في نفس الوقت. هذا إلى جانب الصعوبة التي يواجهها الباحث التاريخي في الكشف عن حوادث ووقائع لم يعاصرها ولا يستطيع أن يخضعها للملاحظة المباشرة.

أ. **المصادر الأولية (الأصلية):** وهي تتضمن :

- ما يقوله الأشخاص الأكفاء الذين شهدوا الحادثة أو الواقعة التاريخية بعيونهم أو سمعوها بآذانهم.
- المواد العينية التي استخدمت في الماضي والتي يمكن فحصها إذ يستطيع الباحث عن طريقها أن يفهم الماضي، ويعرف كيف كانت أفكار الناس وأنشطتهم، ولهذا تعتبر المصادر الأولية هي مادة البحث التاريخي ، وأهم ما تتضمنه تلك المصادر: السجلات ، والآثار، تلك التي حفظت عن عمد أو بدون عمد لنقل المعلومات وهي إما تكون مكتوبة، أو مصورة، أو ميكانيكية، من نماذج السجلات : السجلات الرسمية، السجلات الشخصية ، السجلات المصورة ، السجلات الميكانيكية ، التراث الشفوي.

* أما فيما يخص الآثار الأخرى على أنواع متعددة وهي : الآثار المادية، المطبوعات، المخطوطات، إن هذه الآثار لهي أكثر صحقا من السجلات كمصدر للمعلومات، لأن الباحث يستطيع أن يتفحصها ويلمسها، ويعرف مادتها ، صناعتها، وما إلى ذلك .

ب. **المصادر الثانوية** : هي تلك التي تتعلق بالمعلومات المأخوذة عن شخص لم يشهد الحالة مباشرة، بل نقلت له.

- **اللغة في ضوء المنهج التاريخي :**

تميز المنهج التاريخي في دراسته لظاهرة اللغة بمجموعة من الخصوصيات التي تنفرد عن المناهج البحثية الآخرى، وأهم هذه الخصوصيات:

أولا : أن اللغة ليست بناء ثابتا مستقرا، بل هي متغيرة بحسب الظروف وتغيراتها، واختلافاتها مع الزمن.

ثانيا: لا يربط الباحث بين العلة والمعلول، ولا بأسباب النشوء والتكوين ، ولكنه ينقل الصورة التي كانت عليها في حقبة. وما آلت إليه في حقبة لاحقة.

ثالثا: أن يقوم الباحث بتفسير الظواهر على ضوء روح العصر، ولا يقتصر على مجرد جمع النصوص وتكديسها، وإنما عليه أن يتجه اتجاها تكامليا في تناول اللغة والبحث فيها زمانا ومكانا.

رابعا : تحلل اللغة على ضوء الظروف الاجتماعية والفردية، والمعايير المميزة لها، والتي لها صلة بالوقائع والأحداث ، والظروف المختلفة.

خامسا : يضع الباحث، بعد عناية الظواهر اللغوية وتطورها في التاريخ – أسئلة من صلب منهجه ، وهي :

- كيف جاءت اللغة ؟ بحثا عن الطريقة التي وصلت إليها إلى عهد الدراسة.
- متى ظهرت اللغة ؟ الزمن الذي ظهرت فيه بخصائصها وسماتها؟
- إلى أين اتجهت ؟ عما وصلت إليه من استقرار أو تغيير.

حاول المنهج التاريخي كشف أسرار الظاهرة اللغوية من خلال رصد كل التغيرات التي تصيبها عبر فترات مختلفة، ومن خلال مستوياتها الأربعة، [الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والدلالية]، فقد كان أول دافع لظهور هذا المنهج هو البحث عن أصل اللغة، فكانت الدراسة التطويرية الطولية هي أفضل طريقة لدراسة القوانين التي تصاحب كل تطور وتحول يصيب اللغة.

نماذج تطبيقية من المنهج التاريخي :

❖ الجانب الصوتي/ اللفظي والصرفي :

يأخذ "عبد الله العلايلي " اللغة في جهتين {الصوتي واللفظي} ابتغاء فهم تطور الحركات، وصدورها عن المعلات، فالكسرة في "شين ، شِمال " وكذلك الانتهاء بمتحرك "نظنه الواو" ، ويدعو إليه احتفاظ لفظ "عمرو" بالواو في املائيته. وما في النصوص الحميرية مثل : أخت أمهو أي أخت أمه ...، وما في لسان بعض القبائل من تحريك ضمائر الجمع للغائب ، المضافة أو المقرونة إلى حروف الجر، بالضمة الممدودة مطلقا، واحتفاظ العربية بالوقف بالرؤم في بعض المواقف، والرؤم حركة مختلسة تميل إلى الضم.....وبناء فعلون ، فإن أصله : فعلو، وزادت العرب النون لتمكين النطق، والتخلص من الصوتية..."

وبعد هذا الدور، أخذت اللغة ، تتهيأ للتحليل ، وإن لم يكن على الوجه الأكمل، ولما بلغت اللغة الدور الثالث، انتهت إلى أن تتخلص من حركة الآخر، ولكنها تخبطت في تجارب كثيرة حتى خرجت (العربية) نهائيا بتجربة الإعراب المدهشة، التي بلغتها في أخريات الدور الثالث.

في منهج التطور التاريخي تمر اللغة في مستواها الصوتي والصرفي بثلاثة أدوار متعاقبة، عرفتها اللغات جميعا،

الدور الأوّل: هو دور المقطع البسيط، حيث يكون المقطع واحد غير مركب، ويكون كل صوت يدل دلالة بعينها، ف(عو) يدل على الحيوانات الزئيرية، و(وا) يدل على الصوت المتكرر بحركة الفكّين"

الدور الثالث: أي دور الجمع بين مقطعين واحدين للدلالة على معنى جديد.

الدور الثالث : دور الجمع بين المقاطع البسيطة الواحدية، وبين المقاطع الثنائية، لتأليف دلالة مركبة، " وكان هذا الدور بقصد الإنسان تلبية لحاجته، وفيه اتخذت العربية وحدتها، واستقرت في الثلاثي.

من هذا المنظور التطوري للّغات، بأدوارها الثلاثة، كان العهد اللغوي الأول، وفي ختامه وقفت لغات، وأُمتيت لغات، ونشطت لغات آخذة بالحياة ، وهذه وحدها ألّفت العهد اللغوي الثاني .

❖ تطور اللغات السامية :

أثبت البحث التاريخي لبعض اللغات السامية أنها لهجات للغة واحدة.

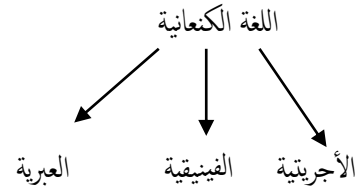

❖ تطور الأوزان :

1. تِنْـــدُلاَن ⟸ نيـــدُلان } تخلصا من المحظور
   فئـــعُلان ⟸ فِيـــعُلاَن }
2. زِئْبُر و زِئْبِـر ⟸ زيبـــرُ
   فِئْعُل فئعِـل ⟸ فِيعُـــل

المحاضرة الثالثة : المنهج المقارن

مصادر ومراجع المحاضرة :

الخليل بن أحمد، معجم العين

اسماعيل عمايرة، المستشرقون ومناهج البحث اللغوي

محمود فهمي حجازي، المدخل إلى علم اللغة

ماريو باي، أسس علم اللغة

فندريس، اللغة

رمضان عبد التواب ، المدخل إلى علم اللغة ، ومناهج البحث اللغوي

رياض قاسم، اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العرب

أحمد طه حسانين، في مناهج البحث اللغوي،

يقوم المنهج المقارن على الدراسة النحوية والصرفية والدلالية بمقارنة تجري بين لغتين أو أكثر من فصيلة لغوية واحدة ، " ليس المنهج المقارن إلا امتدادا للمنهج التاريخي في أعماق الماضي السحيق، وينحصر في نقل منهج التفكير، الذي يطلق على العهود التاريخية إلى عهود لا نملك منها أيه وثيقة".

يعدّ المنهج المقارن من أقدم المناهج ، فاكتشاف اللغة السنسكريتية (لغة الهنود القديمة) على يد السير وليم جونز Wiliam Jones (في سنة 1786م)، الذي مهّد الطريق لتأسيس المنهج المقارن عند قيامه بدراسة رائعة من نوعها، تمت هذه الدراسة على اللغة الهندو أوروبية وقدم على إثر هذه الدراسة خلاصة نتائج ما توصل إليه في بحثه المقارن حيث قال : إن اللغة السنسكريتية مهما كان قدمها، بنية رائعة أكمل من الإغريقية وأغنى من اللاتينية، وهي تنم عن ثقافة أرقى من ثقافة هاتين اللغتين، لكنها مع ذلك تتصل بهما بصلة وثيقة من القرابة سواء من ناحية جذور الأفعال أم من ناحية الصيغ النحوية حتى لا يمكننا أن نعزو هذه القرابة إلى مجرد الصدفة. ولا يسع أيّ لغوي بعد تصفحه هذه اللغات الثلاث إلا أن يعترف بأنها تتفرع من أصل مشترك زال من الوجود".

وانطلاقا من هذا الاكتشاف دأب لغويون إلى مقارنة اللغات وتصنيفها إلى أسرات لغوية ومحاولة تحديد الأصل الذي انحدرت منه؛ فوجدوا ظواهر مشتركة في اللغات المنتشرة بين أوروبا وإيران والهند واعتبروا هذه اللغات ضمن أسرة لغوية واحدة من أصل واحد مشترك، ووجدوا اللغات العربية والعبرية، والفينيقية، والأكادية، والحبشية تحمل بعض الخصائص اللغوية المشتركة فقالوا ، إنّها لغات انحدرت من لغة واحدة وأطلقوا عليها السامية الأم أو السامية الأولى.

1. جذور الدراسة المقارنة عند اللغويين العرب القدامى:

لم يشر العرب القدامى إلى هذا المصطلح (المقارن) ، ولا إلى أهميته في الدراسات اللغوية أيام ازدهار نهضتهم الفكرية، حالهم في ذلك حال الأمم المجاورة لهم مثل : الفرس، أو الهند، أو اليونان، أو غيرهم، لكن آثار وجود بعض بصمات المنهج المقارن فهي حاضرة في دراساتهم، وذلك من خلال ما استبدل به الباحثون اللغويون العرب المعاصرون؛ فلم لم يكن جميع القدامى من اللغويون العرب على جهل باللغات السامية، بل كان بعضهم يعرف العلاقة العربية وبعض هذه اللغات؛ فقد كان للخليل(175هـ) أول من أشار إلى القرابة بين العربية واللغات السامية الأخرى في معجمه (العين) الذي وضع على نظام التقليبات الصوتية، قال: **وكنعان بن سام بن نوح ينسب إليه الكنعانيون وكانوا يتكلمون بلغة تُضارعُ العربية" ، وقال"العبرانية لغة اليهود"، وقال "هيا شراهيا"** بالعبرانية "يا حي يا قيوم"،وقال"**إيل : اسم من أسماء الله عزوجل بالعبرانية**" ويفهم منه أن الفراهيدي كان على دراية بلغة اليهود، وهي تختلف عن الآرامية التي كانت سائدة على ألسنة أهل الكتاب آنذاك، ولكن هذا لا يعني أن الخليل قد اتّبع منهجا مقارنا إنّما جاءت هذه المقارنات عرضية عابرة.

إذا، يبدو لنا أن معرفة علماء العربية للقرابة بين اللغات السامية ناتج عن ثقافة عامة لديهم، كانت موجودة في عصرهم من خلال اتصالهم بأهل الكتاب،

كما عرّف أبو عبيد القاسم بن سلام (المتوفى سنة 224هـ) اللغة السريانية، وتحدث عن أداة التعريف فيها، وهي الفتحة الطويلة في أواخر كلماتها، كما وقف على أوجه الاختلاف بين العربية والسريانية، وثنى بالحديث عن النهاية الإعرابية لكل لغتين، قال أبو حزم الرازي:**" قال أبة عبيد القاسم بن سلام : للعرب في كلامها علامات لا يركهم فيها أحد من الأمم نعلمه، منها : إدخال الألف واللام في أول الاسم، إلزامهم إياه الإعراب في كل وجه، في الرفع والنصب والخفض، كما أدخلوا في (الطور) وحذفوا**

الألف التي في الآخر، فألزموه الإعراب في كل وجه، وهو بالسريانية: (طورا) على حال واحدة، في الرفع والنصب والخفض، وكذلك (اليمّ) هو بالسريانية : (يمّا)، فأدخلت العرب الألف واللام، وصرفته في جميع الإعراب على جميع ما وصفت" .

لقد عقد ابن دريد (ت 325هـ) فصلا خاصا بالمعرب في معجمه، يقول : "**والسهر : القمر بالسريانية، وهو الساهور، وزعم قوم : بل دارة القمر، وقد ذكره أمية بن أبي الصلت، ولم يسمع إلا في شعره، وكان مستعملا للسريانية كثيرا، لأنّه كان قرأ الكتب..**"، وكرر هذه المقولة في كتابه الاشتقاق ، حيث قال : " **والساهورة : القمر بالسريانية، قد تكلمت به العرب وذكر في الشعر...**".

والذي يبدو أن المادة اللغوية (س هـ ر) هي من المشترك السامي القديم الذي يدل على القمر، بدليل وجوده في السريانية و في العربية، وهو في العبرية كذلك ، ففيها قمر، هلال، من مشتقاته : قمر، وترد بالسين الأخرى : قمر.

وابن حزم الأندلسي (ت 456هـ) فقيه الأندلس وزعيم المذهب الظاهري، استطاع الوقوف على علاقة القربى بين العربية واللغات السامية الأخرى، يقول في كتابه "الإحكام في أصول الأحكام: " **إن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقينا أن السريانية والعبرانية والعربية ، التي هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير، واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها ، فحدث فيها جرس كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نفحة أهل القيروان ،ومن القيرواني إذا رام لغة الأندلسي ... وهكذا في كثير من البلاد فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبدلا لا يخفى على من تأمله... فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافها إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ، ومجاورة الأمم وأنها لغة واحدة في الأصل**" .

أما أبوحيان الأندلسي (ت754هـ) فقد عرف اللغة الحبشية، وأدرك العلاقة بينها وبين العربية، وألف في الحبشية كتابا مستقلا اسمه "جلاء الغبش عن لسان الحبش" وأدرك العلاقة بينها وبين العربية، وألف فيها تأليفًا مستقلًا؛ فقال: "**وقد تكلمت على كيفية نسبة الحبش، في كتابنا المترجم عن هذه اللغة، المسمى بـ: "جلاء الغبش عن لسان الحبش". وكثيرًا ما تتوافق اللغتان: لغة العرب ولغة الحبش، في ألفاظ، وفي قواعد من التركيب نحوية، كحروف المضارعة، وتاء التأنيث، وهمزة التعدية.**"

1- من فروع علم اللغة المقارن

أ. علم الأصوات المقارن: يهتم بدراسة الجانب الصوتي على مستوى الفصيلة الواحدة، إن الباحث في هذا العلم يركز على الأصوات الموجودة في هذه اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة من أجل التوصل إلى قواعد عامة تفسر التغيرات الصوتية التي طرأت على مر الزمن.

ب. علم الصرف المقارن: يهتم بدراسة بناء الكلمة على مستوى الفصيلة الواحدة وما يتعلق بها من أوزان وسوابق، ولواحق، ووظائفها المختلفة.

ج. علم الدلالة المقارن : هذا الفرع يهتم بدراسة القضايا الدلالية على مستوى الفصيلة السامية، وبخاصة ما يتعلق بتاريخ الكلمات وتأصيلها.

د. علم النحو المقارن: يقدم لنا النحو المقارن نظامًا تُصنَّف فيه اللغات في أسرات تبعًا لخصائصها، فمقارنة الأصوات، والصيغ، تتجلى ضروب التجديد الخاصة بكل لغة، في مقابلة البقايا من حالة قديمة، وقد نجح اللغويون في أن يحددوا ما قبل تاريخ اللغات "الهندو-أوربية"، ولكنهم لم يصلوا إلى معرفة من كانوا يتكلمونها، ولم يستطيعوا أن يحددوا أسلاف الإغريق أو الجرمان، أو اللاتين، أو الكلتيين، وإنما يعرفون فقط التغييرات التي مرت بها الجرمانية والإغريقية واللاتينية والكلتية، حتى وصلت إلى الحالة، التي تكشف عنها النصوص. أما الأسماء التي أطلقوها على اللغات، التي أعادوا بناءها فتحكمية، قد اتفقوا عليها مجرد اتفاق؛ فكلمة: الهندية الأوربية، إذا أخرجت من الاستعمال اللغوي، لم يبق لها أي معنى"

طريقة المقارنة : وطريقة المقارنة هي كما قال ماريوباي : " احصل على أقدم الكلمات لكل فرع ممن فروع اللغات الهندية الأوربية، ثم ضعها بعضها بجانب بعض، وصف ما بينها من مشابهات واختلافات، ثم حاول أن تركب عن طريق استخلاص الأشياء المشتركة غالبًا - لصيغة المحتملة للغة الأم" أو هي ، كما جاء في موضع آخر : "بعد أخذ عينات مختلفة من التركيبات النحوية وخصوصًا المتطابق منها، وعينات من المفردات اللغوية، وأخرى من الفونيمات التي تأخذ دورًا بارزًا في الكلمات المتقابلة في مختلف اللغات يمكن للباحثين أن يعيدوا تركيب اللغة الأم ، ولو بصورة تقريبية على الأقل ، بمظاهرها وصيغها، وهي لغة لم يصل إلينا منها أي تسجيلات مكتوبة.

ويلاحظ أن المقارنة بين اللغات كما تكون في التركيبات الخاصة بلغتين أو أكثر من اللغات القديمة بهدف التوصل إلى أصولها المشتركة، تقع أيضًا في اللغات الحديثة بقصد الوصول إلى مواطن الشبه والاختلاف بينها في صورتها الحاضرة، وتوجد كذلك بين "لغة ولهجة من لهجاتها: كالعربية، والهذلية أو لغة ولهجة للغة أخرى من لهجات أخواتها كالعبرية والطائية.. في محاولة للتعرف على الأصل الذي انحدرت منه."

3- نتائج المنهج المقارن

إن اتباع المنهج المقارن في دراسة اللغات المقديمة والحديثة يؤدي إلى عدة نتائج منها:

ومن هنا نستطيع أن نقول: أن اتباع المنهج المقارن في دراسة اللغات القديمة والحديثة يؤدي إلى عدة نتائج منها:

أ) بيان درجة الصلة بين لغتين أو عدة لغات في العناصر اللغوية من الأصوات والصيغ والتراكيب والدلالات.

ب) بمقارنة الأصوات والصيغ تتجلى ضروب التجديد الخاصة بكل لغة في مقابلة البقايا الباقية من حالة قديمة.

جـ) إذا توصلنا إلى تحديد الروابط والعلاقات اللغوية في العناصر المختلفة بين مجموعات اللغات المتشابهة نستطيع افتراض صورة اللغة الأم أو الشكل الذي يبدو أقرب صلة إلى اللغة الأم التي وجدت في الماضي والتي تعد الأصل المشترك لهذه اللغات ومنها تشعبت جميعها.

د) تصنيف اللغات وربطها بسلسلة نسبية على أسس تاريخية ولغوية، والذي يهيئ السبيل إلى ذلك هو النحو المقارن.

هـ) استبعاد البقية الباقية من الاعتقاد التقليدي الذي كان سائدًا، وهو الذي يزعم أن كل اللغات قد انحدرت من أصل لغوي مشترك."

و) الإفادة من المقارنة بين لغات العالم الحديثة في دراسة اللغات الأجنبية وتدريسها؛ "إذ من المستحيل أن يمنع المتعلم من عقد هذه المقارنة في عقله بين صيغ اللغة التي يتكلمها ويعرفها، وما يقابلها في اللغة التي يريد اكتسابها وتعلمها."

ز) تأصيل دراسة اللهجات وذلك عن طريق الوقوف على التطور والتغير الذي يحدث في عناصرها اللغوية عند مقارنتها بأصلها الذي انحدرت منه."

ومع أهمية تلك النتائج التي يمكن الوصول إليها عن طريق المنهج المقارن وقواعده؛ فإنه ينبغي على الباحث أن يعاود النظر في نتائجه؛ خوفًا من حدوث بعض الأخطاء التي ترجع في أغلب الأحيان "إلى نقص الاستقراء، والتسرع في صوغ القوانين العامة... فقد يبدو للباحث -مثلًا- تشابه في بعض الكلمات في لغتين؛ فيتسرع في الحكم عليها بأنها من فصيلة واحدة، مع أن الواقع قد يكون غير ذلك، فقد يكون سبب الاتفاق: أن إحداهما قد اقتبست هذه الكلمة اقتباسًا من الأخرى مع انتمائها إلى فصيلتين مختلفتين، كما اقتبست السريانية عددًا كبيرًا من الكلمات الإغريقية، مع أن السريانية من فصيلة اللغات السامية، والإغريقية من فصيلة اللغات الهندية الأوربية، كما اقتبست الفارسية الحديثة كلمات كثيرة من العربية، مع أن أولاهما من اللغات الآرية، وثانيتهما من اللغات السامية، وكما اقتبست التركية قسمًا كبيرًا من متن لغتها من العربية والفارسية، مع أنها من فصيلة غير فصيلتي العربية والفارسية وهي الفصيلة التتريه."

❖ ومهما يكن من حداثة المنهج اللغوي المقارن في بلاد الشرق؛ فإن الدراسات التي قدمها العلماء تمخضت عن نتائج ليست بالهينة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

* إعادة النظر في التأريخ لكثير من ظواهر اللغة العربية، فبعد أن كان الشائع لدى الباحثين أن أقدم النصوص العربية المعروفة تتمثل في نصوص الشعر الجاهلي صار من الممكن -بعد اكتشاف اللغة الآكادية- "تأريخ كثير من الظواهر العربية في مرحلة أسبق من الشعر الجاهلي بأكثر من ألفي عام؛ فالظواهر المشتركة في العربية والآكادية لا يمكن إلا أن تكون موروثة عن اللغة السامية الأولى التي خرجت عنها كل اللغات السامية. ولذا يبدأ البحث عن تأريخ اللغة العربية ببيان علاقة العربية باللغات السامية الأخرى، وباللغة السامية الأولى في محاولة لتأريخ الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية للغة العربية قبل تدوينها."

* في مجال الأصوات استطاع الباحثون أن يقفوا على الأصوات المشتركة بين اللغات السامية ولم يدخلها أي تغيير، وذلك مثل أصوات؛ الراء، واللام، والنون، والثاء، والدال، وأن يكشفوا عن مجموعة أخرى من الأصوات الثابتة المشتركة في اللغات السامية، ولكنها تعرضت لتغييرات محدودة، وذلك مثل أصوات: الباء، والكاف، والتاء، حيث تنطق العبرية والآرمية مثل العربية إذا وقعت في أول الكلام، أما إذا سبقت بحركة، ولم تكن الباء والكاف مشددتين فإن الباء تنطق

مثل الحرف (v) وتنطق الكاف خاءً ، وتنطق التاء ثاءً ، مما يدل على أن ذلك التغيير خاص باللغتين العبرية والآرمية، وليس موروثًا عن اللغة السامية الأم. أما المجموعة الثالثة -وهي أصوات الحلق- فهي واضحة متميزة في كل أفرع اللغات السامية ما عدا الفرع الأكادي الذي يرجح أنه ثائر في عدم التمييز بين أصوات الحلق باللغة السومرية.